

وإذا استعرضنا آراء النقاد القدامى حول البحترى ، وجدنا طائفة منهم تتعصب لأي تمام ، ومن ثم كان البحترى - عندها - آخذاً من شاعرها ، سائراً على طريقته ، وهو لم يعرف الشعر إلا منه ، ولا أكل الخبز إلا به ، وقد عبر البحترى عن ذلك بنفسه . أما الطائفة الثانية فكانت تتعصب للبحترى ، وهي لذلك تراه من المبدعين الذين تفردوا بطريقتهم ، وهي تبرئه من تهمة الأخذ ، وتنسب له الفضل في جانب الصياغة ، وتبتعد به عن التعقيد الذي أخذ أبو تمام نفسه به . ووجد بين هذه وتلك طائفة حاولت الإنصاف ، فذكرت لكل منها إحسانه وإساءته ، وكان على رأس هذه الطائفة الأمدى في كتابه (الموازنة) ، وقد ذكر عدة من المعاني التي أخذها البحترى من أبي تمام ، وحمل عليه بسببها ، كما أنه لم يقطع برأى حولها وحول أيها أشعر ، وترك لكل طائفة ما يتفق وميلها وما تتطلبه في الفن الشعري .

ولا بد لي وأنا أتصدى لهذين الشاعرين من الوقوف عند حديث الأمدى عنها ؛ فهو وإن خصص كتابه للموازنة بينهما ، قد ترك الحكم للقارئ ، يحتكم فيه إلى ذوقه ، وما يميل إليه طبعه ، كما نجده يستعرض آراء أنصار كل من الشاعرين ، والحجج التي استندوا إليها ، والأسباب التي جعلتهم يفضلون شاعرهم على الشاعر الآخر . أما رأى الناقد نفسه فهو عدم التسوية بينهما ، وهما عنده ليسا طبقة واحدة ، كما أنها مختلفان « لأن البحترى أعرابي الشعر مطبوع ، وعلى مذهب الأوائل ، وما فارق عمود الشعر المعروف ، وكان يتجنب التعقيد ، ومستكره الألفاظ ووحشى الكلام ، ولهذا فهو أحق أن يقاس بأشجع السلمى ، ومنصور النمرى ، وأبي يعقوب الخزيمي ، وأمثالهم من المطبوعين »^(٤) . ولما كان البحترى عنده على هذا النحو كان الذين ارتضوا مذهبه هم : الكتاب ، والأعراب ، والشعراء المطبوعون ، وأهل البلاغة ، وقد أرجعوا هذا التفضيل إلى حلاوة النفس ، وحسن التخلص ، ووضع الكلام مواضعه ، وصحة العبارة ، وقرب المأق ، وانكشاف المعنى (٥)

وعبارة الأمدى - في ظني - إن صدقت في بعض الأحكام التي جاءت فيها ، لا تصدق في كلها ، فهل كان البحترى على مذهب الأوائل ؟ وهل كان

(٤) الموازنة ٥ ، ٦ .

(٥) المكان نفسه .